



النور والنار وحبّة الحنطة

قصة الشفاء

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٣

النور الذي فينا من الله

في العصور القديمة كانت الشمس، والشموع هي مصدرُ الإنارة الرئيسي للإنسان. لم تكن الكهرباء معروفةً منذ ١٠٠ سنة. وكانت الكنائس تضاء بالشموع. لكن الشموع لم تكن مجرد وسيلة للإنارة، فكل الأشياء التي نستعملها تؤثر فينا وترتبط بما في عقولنا من أفكار وفي قلوبنا من مشاعر.

الظلمة تجعل كل شيء يختفي ويفقد ألوانه، بل يصبح من الصعب علينا أن نجدّه إذا حاولنا البحث عنه. فأنت لا تستطيع أن تقرأ في الظلام، أو حتى تأكل، وقد تغمس لقمة خبز في الشاي بدلاً من الشورية، أو تضع السكر على السوسيس. لأن الظلمة تجعلك غير قادرٍ على الرؤيا. لذلك السبب دُعِيَ المسيح "نور العالم" لأننا عندما نؤمن به نرى كل الأشياء واضحةً. ولأن يسوع تجلّى مرةً على الجبل أمام تلاميذه، ولمع وجهه وحتى ثيابه بنورٍ يفوق نور الشمس، فأعلن بذلك أنه فعلاً نورٌ. وعندما آمنت الكنيسة بأن يسوع هو نورُ العالم، أحببت النور، واختارت الشمعة، كنورٍ صغيرٍ يُبديد ظلمةً كثيفةً، رمزًا يدلنا على نور المسيح.

والمسيح نور العالم يئيرنا ... وأول مناسبة ننال فيها نور المسيح عندما نعلم ونغطس في مياه المعمودية ... فنؤكّد من الماء ومن الروح القدس مثلما وُلدَ يسوع من العذراء والروح القدس. لأن أبويننا يلداننا، ولكن الله الذي أعطانا الآباء والأمهات، يريد أن يكون هو أيضًا أبًا لنا، فبعد ولادتنا من الأب والأم، نذهب إلى الله لننال

ابوته ونصبح مثل يسوع ابنه، أي أبناء له.

هذه البنوة هي النور الذي ننال في المعمودية، والذي يجعلنا نرى كل شيء في شكله الصحيح، فنحب الجمال والكون العظيم، ونبتعد عن الأمور التي تجعلنا نفقد النور.

وقديماً كان كل من يعتمد يحمل شمعة في يده، وكان يُدعى المستنير، وعندما يخرج من مياه المعمودية يلبس ملابس بيضاء ويحمل شمعة ويسير من جرن المعمودية إلى الكنيسة، وجماعة المؤمنين يرحّبون به ويُشيدون الأناشيد ترحيباً به مثل أنشودة "يا ملك السلام..."، أو الأنشودة المعروفة في زمن بولس الرسول: "قم أيها النائم واستيقظ من بين الأموات فيضيء لك المسيح" (أفسس ٥ : ١٤).

ولذلك كل Baptized كان يحمل الشمعة ويذهب إلى الهيكل لكي يتناول والتناول مهم جداً.

النور يعطي

قديمًا جدًّا .. كان الله وحده.
 ورغب الله أن يخلق الإنسان
 كانت خيراتُ الله كثيرةً وفائقةً ... لا يتمتع بها أحد،
 ولم يكن الله يرغب في أن يحتفظ بشيءٍ لنفسه،
 بل يجد سعادةً في العطاء.
 فخلق الله الكونَ
 الشمسَ والقمرَ
 والبحارَ واليابسَ
 وكانت الشمسُ تنير وتدفئ الكونَ
 والقمرُ يُجِبُّ الشمسَ ويعكس نورها على الأرض
 والزرورع والأزهار
 كلُّ يعطي شيئًا
 حتى الطيور تعطي صوتها الجميل
 أو ترتدي ريشها الجميل
 وكانت سعادةُ الكون عظيمَةً
 فلهواء والماء والشمس والزرورع تسبِّح الله

وتشكره على عطيته الفائقة.

وَحَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ

ولأنه سيعيش على الأرض

أخذَ جَسَدَهُ من تراب الأرض

ولكنه سيقف على قدميه ويسبح الله،

فأعطاه الله شيئًا آخر غير الجسد،

هو النَّفْس

فالحوانات تعيش على الأرض، ولذلك أخذت أجسادها من الأرض

أمَّا الإنسان فقد أعطاه الله أن يكون أعظمَ من كل الحيوانات

فأعطاه النَّفْسَ

وأراد أن يجعل هذا العطاء واضحًا كعطاءٍ خاصٍّ،

فنفخ في أنفه، ودخلت هذه النفخةُ في جسد آدم،

فصار آدم حيًّا.

وجعلته النَّفْسُ قادرًا على أن يتطلع إلى السماء

ويرى جمال الله

ويسبح مع الملائكة.

الله أعطى من خيراته للكون

الكونُ يعطي من خيراته للإنسان

والإنسانُ يحمل هذه الخيرات
في يده
يأكلها
ويجيا بواسطتها
ويسبِّح الله.
لذلك نصلي قبل الأكل
لكي نشكر الله على خيراته التي أعطاهَا لنا
والتي ما تزال في الكون
بشكلٍ خاصٍ: الماء
والنار
والنور
والخبز
وسائر الأطعمة الأخرى.

بداية الظلام

في ذاتِ يومٍ توقَّف آدم عن الصلاة والتسبيح
ونظر حوله

ونظرت حواءُ معه إلى كل شيء

وقال كلاهما .. هذا الكون كله يجب أن يكون لنا وحدنا

قالت الشمس: لا ... أنا من الله ولا يملكني أحد سوى الله

أنا أعطي نوري للكل لأنني أتشبهه بالله لا أُمْنَع شيئاً عن أحد

وقالت الأرض: لا يا آدم أنت لن تمتلكني لأنني مثل الشمس،

أنا آخذ نورَ الشمس وحرارتها وأحفظها للنباتات .. لكي تنمو وتأكل أنت

وقال الكون كله: حاسب يا آدم

اركع وصلِّ

لأن الركوع والصلاة خضوعٌ وشكرٌ لله

لكن آدم رفضَ

وبدأ يفكر كيف يملك كلَّ شيء ويصبح مثل الله

وحزنت الشمس جداً

وتأثرت كلُّ الخليقة

ولم يسكت الله .. قال لآدم أعطيتك كلَّ هذه العطايا الجيدة .. فماذا تريد؟

.. هي لك، ولكنها لك كعطيّة تستعملها ولا تمتلكها. أنت لا تفهم يا آدم أن المخلوق لا يملك شيئاً بدوني.

أنا مالك الكل

لأنني خلقت الكل

وخلقتك أنت

ويوم تريد أن تكون مثلي

سوف تجف مثل القناة التي أرادت أن تكون بحرًا عظيمًا فرفضت الماء الآتي من البحر على أمل أن تكبر وتأخذ ماء البحر كله، فجفت ونشف الماء وظلت قناة كما كانت ولم تصبح بحرًا.

سوف تظنّ مخلوقًا، ولا يمكنك أن تكون مثلي.

ولم يصدق آدم

ظنّ أن الله يحتال عليه

وأراد الله أن يثبت له أن كلامه صحيح،

فتركه يفعل ما يشاء لكي يكشف أن كلام الله حقّ

وأحسن آدم بأن الشمس لم تعد صديقةً كما كانت،

وحتى الأرض لم تعد تعطيه نباتات جيدة،

ولم يجد آدم سعادته التي كانت تأتي من الله.

بل لم يعد آدم قادرًا على أن يسبح الله كما كان يفعل

وسكت

ولم يعد يصلي
 ووجد آدم أنه صار غريبًا عن كل شيء
 بل نظر إلى جسده، فوجده عريانًا
 ووخزته شوكةٌ وسال دمه الأحمر على الأرض
 وكانت أول مرة يرى فيها الدم
 وخاف آدم
 وأسرعت حواء وأخذت اغصان الشجر، وصنعت له ملابس من ورق الشجر.
 وزاد إحساس آدم بالغرابة
 وأحس أن حواء غريبةٌ أيضًا
 وماتت البراءة Innocence
 وعرف آدم أن موت البراءة والفرح،
 يعني موته هو وموت حواء.

وحبِلت حواء
 وجاء كلُّ أولاد وبنات آدم
 مثل آدم يشعرون بالغرابة
 بلا براءة
 ويموتون مثله

الظلام يسود

آدم يحفُّ...

خائفٌ

بلا سعادة

بلا فرح

آدم يموت

موثُه جعله يحب جسده

حَفَرَ الصخرَ ليسكن آمنًا

فالوحوش يمكن أن تأكله

أمَّا خلف الحجر الصلد، فينام آمنًا

وجعل الموتُ أولاد آدم يتشاجرون

مع بعضهم البعض

ومع النبات

الكلُّ يريد أن يأخذَ لنفسه شيئًا

لأنَّ الكلَّ صار مثل آدم، إذا أخذ اطمئن للحياة

وشَعَرَ بأنه أقوى من الموت

وكثرت الخلافات وتعاضمت المشاكل
وأصبح القتل سهلاً
وانتشرت السرقة

الفجر

وبدأ الله يعمل
تكلم مع بعض الناس
أخبرهم كيف يعودوا للحياة الأولى
حياة الفرح
البراءة
الابتهاج بالخلقة

الظهر

وتكلم مع موسى
أعطاه وصايا كثيرة
لكي تهدي الناس،
لكن الوصايا صارت ثقيلةً
وأصبح الكلُّ مثل تلميذٍ كسلان
لا يحب المذاكرة
ويظنُّ أن الكتب أثقل من الجبال.

المساء

وبدأ الناس يخترعون الوسائل للتهرب من الناموس
وأخذوا يبحثون عن معاني مختلفة للوصايا
ولم يعد ممكناً
علاج الإنسان.
حتى الوصايا امتزجت بعدم البراءة
وعاد الظلام يحيم من جديد.

الليل

فقد الناسُ الشعور بوجود الله
ولكنهم ظلُّوا يفتِّشون عنه
اخترعوا التماثيل
أرادوا آلهةً يلمسونها
وغطَّت الوثنيةُ كلَّ شيءٍ
وقدَّمَ الناسُ الذبائحَ
الغنم والبقر
وأحياناً البشر.

حبة الحنطة

لم تدرِ حبةُ الحنطة أن رحلتها نحو النور والحياة طويلةٌ. كانت قد نمت على ساق عود القمح، بعد ليلٍ طويلٍ مُظلم في باطن الأرض. هناك، تحت التراب رقدت في وحدةٍ وظلمة، تحلم بما عاشته من أيامٍ جميلةٍ: الشمس وأصوات الطيور في الصباح. وتحت التراب كانت تحس بما يدور... الشمس لا تزال تشرق، والطيور تغرد. والنور ينسكب في كل الكون وفرح الخليفة بالله مستمر.

لكن ماذا سيحدث بعد ذلك. هل ستعود إلى النور، هل ستسمع صوت الطيور المغردة؟ هل ستقبل أشعة الشمس؟

في الداخل تحس بأن ما أخذته من الشمس والهواء والماء، لا يمكن أن يكون نصيب الأرض، ولا يمكن أن يظل لها وحدها، ورقدت تحلم

ونزل المطر وشربت الأرض الماء

وأحاط الماء بحبة الحنطة، وصار مثل ثوب لها

وبدأت تحس بأنها تنمو وحياتها تتحول صاعدةً نحو النور

لم تكن حبة الحنطة تعي ماذا سيحدث لها

فقد امتدت، وامتدت.. حتى لثمت أشعة النهار

ورفعت رأسها ورأت الشمس المشرقة

ولم تدرِ أنها سوف تكبر وتتحول إلى حَبَّاتٍ وحَبَّاتٍ
كلُّهنَّ في سنابل تتمايل مع نسَمات الريح
ومضى الربيع
وجاء موسم الحصاد
وقطع الفلاحُ السنابل
وهرستها عجلات النوارج
ورقدت حبةُ الحنطة في مخزن غلال مع رفيقاتها.

هل بعد هذا الجمال ... عتمةٌ
دار الحديثُ عن الأيام الجميلة
برد الشتاء
لمعان النجوم
قدوم الربيع
ورقدت حبة الحنطة لا تدري أن رحلتها نحو النور والحياة أشق.

وحمل الفلاحُ حبةَ الحنطة إلى "وابور الطحين"
وسمعت صوت الرفيقات ينادين الربيع أن يسرع بالنجدة،
وأن يُهب النور للمعونة،
فقد دارت عجلات الماكينة
وفقدت كل حبة تلك العُلالَة الصفراء الرقيقة

واختلطت برفيقاتها
صارت دقيقًا ناعمًا.

مؤمٌ جدًّا ذلك الاختبار الجديد
حجرُ الرحي يدور بلا توقف
آلامٌ هائلةٌ تدب في كل ذرةٍ من كيانها .. تطحنها الرحي
وآلامٌ أكثر لأن هذا الكيان يختلطُ بغيره
كانت الرفيقات من حبات الحنطة في نفس السنبلة
أمَّا الآن فكلُّ حَبَّات الحنطة من الحقل كله صِرْنَ دقيقًا
لا يمكن أن تميز بين واحدةٍ وأخرى
كلُّهنَّ خلعنَ الجسد.

ولم تعد حَبَّات الحنطة
حَبَّاتٌ، بل
دقيقٌ جَمَعَ الكلَّ في وحدة
الألم

ومرَّت المياهُ
الصديقُ القديم حوَّها
وصار الدقيقُ عجينًا

وجاءت امرأةً ووضعت الخميرة في العجين
وقالت الخميرة: لا تخافوا فإن حياةً جديدةً سوف تُشرق
بعد آلام الطحين

وهمست حبة الحنطة: كيف تعرفين؟
فقال الخميرة: لقد مررت بالماء والنار وتحولتُ إلى خبز
وهمست كلُّ الرفيقات: خبزٌ، وما هو الخبز؟
فقال الخميرة: طعامٌ. سوف تقدّمون حياتكم من جديد.
وصرخت الرفيقات: لقد قدّمناها مرّاتٍ ومراتٍ. ألم يحن الوقت لنستريح.
وقالت الخميرة: سوف تستريحون قريباً عندما تعودون إلى الله
وتعجّبت الرفيقات: سنعود إلى الله؟

وهل سنرى الشمس والقمر ونسمع أغاريد الطيور؟
وقالت حبة حنطة، وهي لا تزال تتوجع من رحي المطحنة:
هل سأبقى كما أنا، أم سأذوب في غيري وأفقد كياني؟
وقالت الخميرة: تعالوا لنصبح خبزاً
فالعزلةُ موتٌ،

وغداً سوف تعرفون أن الألم تقدّمٌ،
وأن حريق النار حياةٌ جديدةٌ.

وجاء شماسٌ في يده ختمٌ غريبٌ
يحمل ملامح الشمس

رائحة الحقول
وزينة الربيع
وطبع الشماسُ ختمه في قطعة عجيب
لهيب النار يلسع
لكن معالم الختم تسطع
ولمعان النار مخيفٌ
لكن رجاء الحياة الجديدة أقوى
وامتزج الكلُّ
صار بالنار
وحدةً واحدةً
وشيءٌ يقول إن الآتي أعظم
وسمع الكل صوتاً لم يدرين من أين
لقد جاءت بشارة النور
كان صوتٌ من الأعماق
صادرًا من الكلِّ
لكن الكلَّ سمعه
آتيًا من بعيد.

وحَمَلَ الشَّماسُ الحُبْرَةَ
وقال: أنتِ قرابنةٌ جميلةٌ تامة

سوف تصبحين حملاً.

وسمعت الرفيقاتُ الصوتَ وانتظرن
ذلك الحدثَ الفريدَ.

أناشيدٌ وألحان
كلماتٌ مبهمَةٌ
وأخيراً،
تلك السكينةُ والهدوءُ
ورقدت القربانةُ على المذبح.

الخبز الواحد
جعل العزلةَ أو الانقسامَ مستحيلاً
كانت المياهُ عذبةً
خلطت الكل .. وصار الكلُّ عجينةً واحدة.
لقد أذابت الماءُ والخميرةُ والنازُ العزلةَ

وعلى المذبح تهاسن
ماذا سيحدث لنا
لقد ماتت الخميرةُ في النار

وصار من المستحيل أن نسألها
 ومَن سوف يبشِّر بالخير الآتي
 مَن سلك هذا الطريق الجديد ليقول لنا ما الذي سيحدث؟

وقالت حبة الحنطة في هدوء
 الانتظار لن يطول
 مهما طال
 فهو ليس مثل رقدة الطين
 نحن هنا واحدٌ

وفي سكون القُدَّاس
 سمِع الكلُّ قصة الحياة والموت والقيامة
 ولم تنسَ الرفيقاتُ ذلك الاسم الغريب
 له وقعٌ عجيب
 مدهشٌ:

يسوع
 وعرفن أن الطريق الجديد
 يدور حول يسوع
 وحول الاسم الحسن
 بهاء الشمس وعدوبة الربيع

هدوءُ الندى

هديرُ المياه

صمتُ الليل

وقوةُ الحياة.

وركع الكاهنُ والشعب، وصلّى الكل

وانسكب ضياءً باهرًا

فرحٌ لا مثيل له

وامتدت الحياةُ إلى الخبز

يسوع

فارتعش الكيان

واشربَّت الأعناق

رأته حبةُ الحنطة

فإذا هو يفوق لمعان الشمس

صوته يفوق أغاريد الطيور

ولمسَّته الرقيقة

أعظمُ من لمسات الربيع

الحياةُ كلها فيه

وسرٌّ عميقٌ كامنٌ في مجيئه

وهمست حبة الحنطة لرفيقاتها:
 ألا تدرين يا رفيقاتي أن الختم الذي طُبِعَ علينا هو ختم يسوع؟
 وأن فيه لمحاتٌ غريبةٌ منه؟
 إن قلبي يحدثني بأننا سوف نصبح ذلك الختم الذي ارتديناه.
 قال يسوعُ: أنا خبزُ الحياة
 لقد نزلتُ من السماء لأعمل مشيئة الآب
 وأمسك يسوعُ بالقربانة
 وقال: هذا هو جسدي

وانحلت كلُّ أسرار الوجود والحياة
 وصارت حبةُ الحنطة نقطةً صغيرةً في كف الحياة
 ماتت لتعيش
 ومن الأرض ارتفعت
 لتعود بالماء والنار إلى ينبوع الحياة
 كلُّ التعجُّبِ زال، والدهشة ولَّت بعيداً
 فيسوعُ يضمها إليه، لتصبح منه
 فتعبرُ حياته بها إلى الذين يسبِّحون.

الآن أدركتُ حبةُ الحنطةِ سرَّ العناء
 يسوع يقول: "الذي يُكسِّرُ عنكم وعن كثيرين"

وشعرت حبة الحنطة بعذوبة العطاء
صارت من يسوع
ولم تعد تعرف
هل صار هو حبة حنطة
أم صارت هي جسد يسوع؟

وفي تلك اللحظة
نسيت جمال الربيع
وأغاريد الطيور
كل هذا ذاب وتلاشى أمام عذوبة وجمال الاختبار الجديد.

وأكل المصلون الإفخارستيا
وتدفقت حياة يسوع في الكل
وصار يسوع في الكل
والكل صار يسوع.

وصارت حبة الحنطة
نظرات وأفكار
تسايبح شكر
وحملت من الإنسان حياة

وضمت حياتها
إلى حياة الإنسان
لأن يسوع مزج الكلّ فيه
منذ أن صار حبة حنطةٍ
ماتت،
لكي لا تكون وحدها،
حملت من يسوع حياته
وحملت من الإنسان حياته
وضمت الاثنين، فصارا واحداً

+ + +